

بلاد الافغان

وملكها الشاب

بقلم الاب لانس اليسوي

قد يكون اطلع قراؤنا الكرام ، في الجرائد اليومية ، على تلك الحوادث التي اثارها في مصر ، سرور امان الله خان ، ملك بلاد الافغان . فرأوا كيف دُعر علماء القاهرة ، اذ شاهدوا اميراً كانوا يعتبرونه احد المرشحين للخلافة الميتة ، يدخل الجامع الازهر وعلى رأسه القبعة ؛ ويظهر بكل بساطة امام الجمهور ، كما يفعل العامة من المسيحيين ، جاعلاً من عن يمينه امرأته الملكة اللطيفة . وان هذه الحوادث البسيطة تكفي وحدها للفت الانتباه ، اذ انها تنم عن شخصية خارقة العادة ، وعتلة مستقلة تسمو على احكام العامة وآرائهم التقليدية . وهي ليست باولى المدهشات ، فان قرار السفر الى اوردية نفسه ظهر حادثاً غريباً في بلاد الاقنان ، وزاده غرابة الرغبة في استصحاب الملكة ثرياً ، التي قضت قسطاً من طهرليتها في دمشق

واننا ندع الآن امان الله خان وامراته ينهبان زيارتها لاشهر العواصم الاوردية ، ويمتازان الى الولايات المتحدة ؛ ونجتهد في ان نتعرف الى بلاد هذا الملك الشاب ، الى بلاد الاقنان التي لم تخرج بعد من محيط الاسرار والقوامض شاهدت هذه البلاد ، فيا خلا ، سرور فاتحي الزمن القديم كدارا ، والاسكندر الكبير ، وانطيوخوس . وما يذكره التقليد ان القديس توما الرسول مر بها ايضاً . ولكن كل ذلك لا يمنع كونها ظلت ، مع بلاد التبت ، من اغرب اقاليم آسية المتوسطة ، واعرقها في القموض . وحتى السنين المتأخرة ، لم تكن حكومتها تسمح للسياح الاجانب بالدخول اليها

الهدور : تاريخها وحكومتها

تتأخر أفغانستان شمالاً مقاطعة بنجابي ، وغرباً بلاد المجمع ، وشرقاً وجنوباً الهند الانكليزية . وتبلغ مساحتها ٥٥٨,٠٠٠ كيلومتر تقريباً على مساحة فرنسة . وهذه البلاد جبلية في اكثرها ، يبلغ ارتفاع اعلى قمة فيها ، وهي قمة « كوهي بابا » ٥,١٥٠ متراً . فيصعب الدخول اليها لان مجازاتها ضيقة يكفي لحمايتها قليل من الرجال . وهو امر يشرح تلك العزلة التي انفردت بها طويلاً . اما السكان فيبلغ عددهم نحو السبعة الملايين . وهم متفرقون في قرى ومدن اهمها كابل ، وفيها ١٨٠,٠٠٠ نسمة ؛ وقندهار ، وفيها ٤٠,٠٠٠ نسمة ؛ وهرات ، وفيها ٢٠,٠٠٠ منهم ١,٥٠٠ يهودي . ومدينة كابل عاصمة المملكة يحيط بها سهل فسيح مزدوع ، ورويبا احد سواعد نهر الهندوس . على ان الملك امان الله خان شاء ان يبني عاصمة جديدة ؛ فبدأ على مسافة عشرة كيلومترات من كابل ، بإنشاء مدينة عصرية دعاها « دثار الامان »

تقلبت على أفغانستان حكومات عديدة . فبعد ان ملكتها دولة تمت بعرق الى اليرنانيين ، مدة المائتي سنة المتوالية منذ الفتح الاسكندردي ، عادت فروع تحت النفوذ الهندي ، فانتشرت فيها اذ ذاك العقائد البرذوية . ولم تنسح الفترحات العربية ، حتى دخلتها الجيوش الاسلامية مرات ، في القرنين الاولين للهجرة ، ونهبتها . ولكنها لم تقدر على اثبات فيها الى اوائل القرن التاسع للمسيح ، اذ ظهر السلطان محمد الاول الغزنوي . (٨١٥ - ٨١٠ م) فأقر فيها الدين الاسلامي . ثم اكتسحتها الفترحات التركية ، فدخاها جنكيز خان ، قتيورلنك ، فالملك الاكبر ، فلوك العجم المختارون . ولم تنل استقلالها التام وتنفصل عن الهند الاسلامية الا في القرن الثامن عشر

وسبب هذه البلايا في تاريخ أفغانستان ، عائد الى مركزها الجغرافي ؛ فانها ، على صعوبة مجازاتها ، كانت ولا تزال المرء الوحيد لمن يريد الوصول من غرب آسية او شمالها الى بلاد الهند الحنسية . ولهذا فان اسيا الهند لم يكونوا ليمرضوا عن الاهتمام بصير أفغانستان السياسي ، ولم يكونوا ليجمعوا امام شي .

في سبيل تعزيز نفوذهم في تلك البلاد . فرأينا انكلفتة وروسية لا تنفكان
عن تجاذب هذا النفوذ ، منذ ابتداء القرن التاسع عشر . وقد استعاد السوفيتيون
مؤخراً تقليد التياصرة في هذا الشأن ، فاخذوا بالاجتهاد في الوصول الى المنفذ
من خلال افغانستان ، وماثرة سكانها على انكلفتة . اما حكومة الهند
فظلت حتى سنة ١٩١٩ تدفع الى امير افغانستان ، جعالة سنوية قدرها
١,٨٥٠,٠٠٠ روبية . تلك سلسلة ذهبية لم تكن لتنتهي تماماً للسيطرة
الانكليزية

اما الاهلون فاكثرتهم من اصل ايراني . وقد احصي نحو نصف المليون
من العنصر الآري ، واكثر من ٣٠٠,٠٠٠ من القبائل التركية والاقزلباشية
وغيرها ، ونحو الثلاثة آلاف من اليهود . وعدا هؤلاء ، فان جميع السكان
بيدينون بالاسلام ديانة شديدة التعلق بالظواهر ، فلا يفرقهم الا الوهابيون في
تأويلهم الحرفي الدقيق لنص الشريعة . واكثرهم من السنيين التابعين المذهب
الحنفي . على ان بينهم نحو المليون وال نصف من الشيعة الاثنا عشريين ، ونحو
الثلاثمائة الف من الاسماعيليين . واما اللغة الافغانية فهي من فصيلة اللغات
الايرانية وتكتب بالاجدية العربية - الفارسية يضاف اليها خمس اشارات خاصة .
وقد اعتبرت اللغة الفارسية لغة رسمية في الحكومة والمدارس

* * *

الحكومة والمؤسسات

قتل الامير حبيب الله ، والد الملك الحالي ، اثناء يوم صيد في ٢٠ شباط
١٩١٩ . فطغت ابصار ثالث اولاده ، امان الله خان ، المولود سنة ١٨٩٢ ،
الى الحكم ، وساعده الجيش والحزب الوطني ، فتجج وخلف اياه في السلطة
على الرغم من ممارسة اخويه الاكبرين . ولم يثبت به العرش حتى شهر الحرب
على انكلفتة ، فاسرعت هذه الدولة واعترفت باستقلال افغانستان التام في ٨
آب ١٩١٩ ، ولكنها منمت عن الامير تلك الجمالة السنوية التي كانت تدفعها
لسلفه ، وقيمتها ١٢٠,٠٠٠ ليرة انكليزية ذهباً . وكان على الامير ان يقاوم

ايضاً ثورة داخلية احدثها حزب العلماء الرجعيين ، الذي لم يرضَ من ملوك
المرلي . فقمعها بشدة اوقعت الرعب في قلوب المناوئين ، واطهرت للبلاد
جماء ، ان لديها رجلاً حازماً متمداً للسير الى الامام وغم حدثته منه ، ولم
يكن بلغ الثلاثين بحد

وفي سنة ١٩٢٦ ، رأى امان الله خان ان لقب « الامير » التقليدي لا
يوافق مقامه الجديد ، فاستبدل به لقب « بادشاه » اي ملك . وهذا ما حدث ،
في مثل هذه الظروف ، لابن سمود ، امير الوهابيين ؛ ولنوادر الاول ، ملك
مصر . ثم ضد الملك الجديد مطامحات مع روسية السوفيتية ، وتركية الكمالية ،
وببلاد المجمع وغيرها ؛ وارسل لدى الدول المتناصل والمتصددين السياسيين . وفي
شهر حزيران سنة ١٩٢٦ حضر ممثله المؤتمر الاسلامي الذي نادى ابن سمود
بمقتده في مكة

يعرف هذا الملك الشاب اللغة الافغانية والفارسية ، ويلهم بعض الامام
بالبريئة والفرنساوية ، وهو يحب النجاح والتقدم بالتجديد الحسن . على ان
عمله الاصلاحى عارضته عقبات كثر في بلاد متأخرة عما سواها بنحو قرن ،
بسبب اعتزالها المقصود ، وما يثور فيها من الحروب الاهلية . فزادت تلك
الصعوبات في حته ، واخذ يقاومها بمواظبة وحزم ، حتى انتصر عليها . وبدأ
اعماله باصلاح قانون الزواج فقرر ، سنة ١٩٢٤ ، ضرورة قبول الفتاة بعريتها
قبولاً واضحاً تصرح به قبل عقد الزواج . والنهي الحق القديم ، الذي كان
يستفيد منه رؤساء الانبر ، فيزوجون بناتهم قبل سن البلوغ احياناً ، ولا
يكثرثن لرأيهن وارادتهن . ومن المفيد الاشارة الى ان الملك يعطي مثلاً
صالحاً باقتراانه بزوجة واحدة . فلا عجب اذن ، وقد عرفنا اختياره لهذه الرئسة
المهمة ، ان بزاه يبدأ اصلاحاته بها ، ويدخل في التفاصيل فيحدد للمهر قيمة
لا يمكن لاحد ان يتجاوزها ، وهو يحملها ٥٠٠ روبية لاهضاء الاسرة المالكة
و ٢٠٠ للاشراف ، و ٣٠٠ لباقي الرعية . ويلقي ذلك الاسراف الجنوني الذي كان
يقوم به الافراد في معرض اعراضهم ، فيضعون بثروتهم في شراء الهدايا
الكثيرة من الخلويات ؛ فيقرر ان يعطى قدر لبنقات العرس ثمانى ليرات . وقد

لجأ الى القوة في تعزيز هذه القوانين الاصلاحية ، والفاء تلك العادات السيئة ،
فنتجح وتجاوزها الى اصلاحات اوفر اهمية .

وكان له ، من قرار السفر الى اوربة ، سبب جديد لتبسيط الحواطر التي
لم تكن مستعدة لتبول هذا العمل الخلاق ، ولا سيما الرضا التي ابداهها الملك في
استصحاب الملكة . فكثرت المناظرات في هذا الشأن ، وأجبر امان الله على
دعوة اشراف القوم الى اجتماع خاص شرح لهم ، في اثباته ، غايته من ذلك ؛
وصرح بان الوقت قد جان له دخول البلاد في طريق التقدم ؛ وان مراده الذهاب
الى اوربة ، ليقت بنفسه على نتائج المدفعية فيها قبل ان يدخلها الى بلاده ؛
وان غاية الرحلة الدرس والاختبار ، لا اللذة والسرور . ونلاحظ هنا ان
الملك لم يكن رأى بمد سكة جديدة ، لانه لم يكن تجاوز حدود مملكته

يعاون الملك في إدارة شؤون بلاده الداخلية عشرة وزراء ، ومجلس شورى
مؤلف من اعضاء معينين واطباء منتخبين ، واحداً عن كل مقاطعة . ولا مجلس
نواب هناك بل لجنة استشارية تدعى « دربار » تجتمع كل سنة ، بدعوة من
الملك ، وتؤلف من كبار الموظفين والمكيين والمكريين ، واطراف البلاد ،
وكبار العلماء او المألا (رؤساء الدين) . وفي المقاطعات ايضاً لجان تدعى « مجلس
مشورة » تعاون الحكام في الادارة .

وهناك القضاة يعينهم الملك ، وهم من الذهب الخنفي يخضون في سلوكهم
« لقاضي القضاة » . وقد تكون بلاد الافغان الوحيدة بين المناطق الاسلامية ،
اذا استثنينا جزيرة العرب ، في تطبيق عدليتها على الشريعة الاسلامية تطبيقاً دقيقاً
حرفياً . فتقرر العقوبات حسب الحق القرآني ، او « حدود الله » . وهكذا فانهم
لا يذالون يعاقبون الزاني او السكران بالرجم او الجلده ، والموقد بالقتل ،
والبارق بقطع اليد .

اما فيما يختص بالمدارس ، فان في افغانستان اربع مدارس للتعليم البنالي
وهي : مدرسة القضاة ، ومدرسة المظنين العالية ، ومدرسة الهندسة ، ومؤسسة
خاصة تدعى « مدرسة اللغات » يدرسون فيها من يستعدون للدخول في سلك

رجال السياسة والقناصل . وعدا هذه ، فان في البلاد عدة مدارس رشدية وابتدائية . وقد ارسلت الحكومة بمئات من الطلاب الى باريس وبرلين . وفي ٣١ تشرين الاول ١٩٢١ ، وصل الى باريس ، الامير هداية الله ، ابن الملك ، ليتابع دروسه في احدى كلياتها ؛ ومعه اميران صغيران من انبائه ، ونحو العشرين ولداً من اشهر أسر البلاد. وفي الافغان صحافة لا تزال في طفوليتها . فان الجرائد قليلة ولاسيا اليومية ، ونحن نذكر من هذه : جريدة « افغان » في كابل ، وجريدة « استقلال افغانستان » في قندهار . على ان الحكومة مهتمة كل الاهتمام في تعزيز الصحافة ، وهي تساعد جميع الجرائد والنشرات مساعدة مادية ، وتيجر كل مرتطف ، ملكياً كان او عسكرياً ، يقبض اكثر من ٥٠٠ روبية في الشهر ، ان يشترك بجريدتين على الاقل .

وافراد الافغان شجعان وهم ، في الحرب ، جنود اقرباء . وقد اصاح جيشهم على عهد البشة التركية الالمانية التي كان يرئسها جمال باشا ، السيف الذكر في سوريا . ويبلغ عدد الجيش اليوم ٨٠,٠٠٠ من المشاة ، و ١٨,٠٠٠ من الخيالة مع ١٠٠ مدفع

وقد بلغ الاصلاح الحالة الاقتصادية ايضاً، فاخذت التجارة والمراعاة بالازدهار . وهي لا تطلب الا السكينة والامان . اما نوع النقد المتداول فهو الروبية الذهبية والنفضية مع نقد من النحاس . ووحدته الروبية ، وقيمتها ٨ ينات انكليزية .

هذه هي البلاد التي يسير بها اليوم امان الله خان . وسيظلمنا المستقبل الى اي حد يصل هذا الامير الحازم بالشعب الذي اتاله الاستقلال السياسي . ويمكننا طرح السؤال نفسه فيما يخص بمصطفى كمال ، رجل انقرة ؛ وبرضا خان شاه الهجم ، فان كلهم يرغبون في البناء بعد الهدم ؛ وكلهم يشتركون بقوة الازادة ، ووفرة الثقة بدهم . وسيرينا الزمن هل تكفي هذه الهدآت ا

